مهرولاً على ساقٍ واحدة

أنس العيلة

مجموعة شعرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كأس على جبل الزيتون

https://t.me/Post_horizon

اهداء التصوير: لشهداء غزة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاترينةٌ للتّحفِ القديمة

ماذا نفعلُ بحلمٍ تحقّق أمامنا

بعد أن صرنا غارقيْن

في انتظارِ شيء آخر؟!

بعد أن تركناه خلفنا كجسرٍ مُغلقْ

مُجتازين طرقا وعرة

نعود إليها

في أحلامٍ بالأبيض والأسوَدْ

جاء مثل صفعةٍ على الوجه

كخضّةٍ مفاجئة على مطبّ

في شارعٍ نعرفه من ظلال أشجاره

كان من الأحرى أنْ يظلّ عصيّا

له سحر ماضٍ لم نعشه

كقطعة إيس كريم عشقناها

لأننا لم نملك شراءها يوما

ما الذي يستطيع أنْ يمنحه الآن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد أن طَفحتْ صدورنا

بأعراضِ حياةٍ جديدةْ

بعد أنْ أودعناه

ثنايا أغنيةٍ لم نعد نذكر كلماتها

إيقاعات

لم تعد تُطربنا

أو تترك صدى في أعماقنا

نقف أمامه مكتوفي الأيدي

لا نقوى على طرده

أو تجاهله

ولا نملك مكانا له بين الذراعين...

ماذا نفعل بحلمٍ تحقّق أخيراً

جالبا معه غباراً من الأمس

وحاملا في يده

حبةَ دواءٍ قديمة... بطَلَ مفعولها!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مشهدٌ متحرّك في متحف

الأعرجُ الذي يرافقُ امرأةً بعيونٍ زرقاء

في متحفِ الفنّ المُعاصر

شغلكَ أكثر من لوحات فان غوخ

المعلّقة بسحرها الوحشيّ منذُ القرنِ التاسع عشر!

رحتَ تتأملُ مشيتهما الحميمة

وتبحثُ في حبٍّ غيرِ متكافئ جسديّاً

عن لغزٍ عاطفيٍ...

أوقع بها دون نزهاتٍ طويلة

أو مطارداتٍ شقيّةٍ قرب النهرِ

ومن دون رقص!

ربما استدرجها الثراءُ الآسر

الذي يرقّقُ القلوب

مثل كراتِ العجين في يدي الخبّاز

أو لجرحٍ عميقٍ خلّفته علاقةٌ سابقة

فاختارتْ رجلاً ضعيفاً

تأمنُ يوماً خيانته

وتتقي شرورَ المُحبين المباغتة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لن يهدّدها بالوحدة يوماً

لن يهجرها... بل سيبقى عالقاً،

في دهشةٍ دائمة!

وسيمنحها سبباً وجيهاً

لإحساس القدّيسين الخالص بالتضحية

سيمنحها لو شاءت

ذريعة سائغة

لممارسة متعتها الأبديّة بالتذمّر!

.....

لكنكَ لن تُحيل الأمر إلى معادلات

الحُبّ الطبيعي المُتبادل

ربما عليكَ الإقرار يوما

أنّ أعرجَ بقميصٍ أسودَ بسيطْ

وألقٍ حقيقيٍّ خافتْ...

يمكن أن يملكَ ما تحلمُ به

دون شريكٍ وبلا منازع!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأم الراحلة

الرّفوةُ في ساقِ بنطاليَ القديم

بقيتْ إرثاً حيّاً

ليديكِ الماهرتين بخياطةِ

التّمزّقات الصغيرة

التي غالباً ما تفاجئنا في الملابس التي نُحبّ!

كنتِ جالسةً أمام نافذةٍ مُشرَعة

على هواءٍ أليف... يأتي من بحرٍ لم يعد لنا

تمرّرين الخيطَ في ثقب الإبرة

بيدٍ خفيفةٍ ترتعش

وتتحدّثين بصوتٍ متعب

تسمعه مرّةً

فيُسَكّن الجسدَ إلى الأبد

كم استغرقتُ في النظرِ إليكِ

بأنفاسٍ طويلة

وبعينين واسعتين

تعانقان الوقت....

الذي كان يأتي وقع خطاه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من ساعةِ الحائطِ القديمة

ولم يكن هذا كافياً

مرّ مثل أيّ وقتٍ مضى

حتى بسرعة أكبر!

.....

الرّفوةُ في البنطال القديم

ظلّت مثل توقيعٍ شخصيٍّ

من خيوطٍ بِيضٍ

تتعانق في ما بينها...

مثل ذكرى قديمة

تنبضُ في قماشٍ مهترئ

مطويٍّ بعناية

على رفّ الخزانةِ البعيد عن متناول اليد!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التجوّل في الريف بحاسة واحدة

أمام الشجرة التي تشرّبث

بولَ طفلٍ صغير

أُصغي إلى التراب

وهو يمتصّ السائل الذهبيّ بشراهة

تاركا خلفه رغوةً بيضاء!

أُصغي لصراخ دودةٍ

تنقلبُ على ظهرها

رغم أرجلها الكثيرة

التي لم تغادر فيء صخرةٍ منذ ولادتها

أُصغي للهدير الذي يُحدثه

سرب نمل أسوَد

يرسمُ خطّا متحرّكا لا فراغ فيه!

أُصغي لعناقِ كلبيْن

يشمّان بعضهما

ويتبادلان لحَسَاتٍ خاطفةً على الرصيف

قبل أن يواصلا المسير

برفقة سيّديهما،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلٌّ في اتجاهٍ!

إلى زعيق خنزيرٍ برّيّ

يُساقُ إلى الشاحنة

جرّا من عنقه

عرف بالحدس وحده أنّه يُقاد إلى حتفه

أُصغي إلى زلزالٍ نائمْ

تحت العشب الأخضر

الذي ينحني على قدميَّ

أُصغي إلى الهواء

الذي يسقط فجأةً في جوفي...

وإلى دفقةِ دمٍ جديدةْ

مُحمّلةً بالضوء

والأوكسجين

يدفعها القلبُ

إلى الأعضاء

حتى أطراف الأصابع!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نزهة في درب الآلام

ستظلّ تشتهي نزهةً قصيرةً

في دربِ الآلام

جولةً صباحيّة في سوقِ العطّارين،

إنّها أمنيّة تنكسرُ أمامكَ

في كلّ مرّةٍ

وتلاحقكَ شظاياها في كلّ مكان.

لم تشرب كأساً على جبل الزيتون

احتفاءً بإطلالةٍ شاهقةْ

على أحراشٍ وقرى من حجر التلال

وتاريخٍ مُمتدّ

تبحثُ فيه جاهدا عن موطئ قدم!

أو ترى وجهكَ في مرآة مُعلّقة

على فاترينة دكّانٍ

أو في بقعة ماءٍ على الأرض

قبل أن تجفّ...

لم يحتوِكَ سوقُها المسقوف

وتتعثّر في أزقّته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو تسند ظهركَ برهةً إلى جدرانه

ليس لديكَ مقهى هناك

تعتاد الاختفاء فيه

أو شارعا أثيرا تتهادى على بلاطه الكبير

لا تحملُ مشهداً يتيماً

من هناك

يهبُّ عليكَ في أوقات الفراغ

دون أن تعرف السبب

لم تدخلها بطمأنينةِ سائح

في عطلة صيف

أو مؤمن يرنو للقاء الربّ وجها لوجه

ولم تدخلها كابن مدينة

باحثا عن تاريخكِ بين القِباب

وتحت جدران مهدّمة!

.....

لكنكَ تجوبُ مدنَ الآخرين حرّاً

ترتشفُ الماء من نوافيرها

فاغرا فمكَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمام تماثيل وأضرحة

وآثار نهضت كاملة من حفر سحيقة

تستعرضُ مفاتنها مجّانا

كأنها أضحتْ لبُرهةٍ لكَ!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جاتوه المساء

تقطعينَ المسافات في دائرة صغيرة

ذهابكِ إلى المطبخ

وعودتكِ إليه،

الأواني اللامعة على الرّفوف

سلّة الخضار الطازجة

وأكياس مفتوحة يسقط بها نهارك

تنهمكين في طهي وجباتنا المُفضّلة

بالنكهات المألوفة

التي سوف تلاحقنا... وتطبعُ مصائرنا

تبحثين في الكتب

عن أطباق حلوى جديدة

جاتوه المساء... بالقرفة والفانيلا

سوف يترك مذاقاً دائماً

يعلقُ مثل ذكرى على طرف اللسان

كنا نتعاركُ عليه... في كرٍّ وفرٍّ

وأحقادٌ تندلع بيننا

لا تقودنا إلا إلى النعاس!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأعيادُ وأفراحُ الحيّ القريبة

القبلاتُ السريعةُ على جبينك

الطلبات المشفوعةُ

برجاء طفوليّ حارّ

كانت كلّها سببا كافيا

كي تعدّي حلوى المساء

هي الآن

كلّ ما تبقى منكِ على ألسنتنا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهروب بأنفٍ مُغلق

تتحاشى المصافحات

تلك القبضة الدافئة حول الكفّ

والعناقات العفويّة

والقبلة الملغومة في زمن الأوبئة

تحذر في الأماكن العامة

من كائنات غير مرئيّة

تتضاجع بين الحاضرين بشراهة

عطور الأجساد التي كنتَ تلتهمها

وتفتح لها جدران الرئتين

صارت فخّا هوائيّا

تهرب منه بأنف مُغلق!

حتى الريح التي اصطدمت بأشخاص حولك

أو مرّت بين أصابعهم

أو فوق أكتافهم

لم تعد صالحةً للتّنفس

وتبعث رسائل إلكترونيّة نظيفة

لثبرق تحياتك اليوميّة...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأصدقاء في الجوار

لتبادل أخبارٍ شخصيّةٍ غير مُعدِيَة

لا قُبلات مدويّة حتى إشعار آخر

لكَ عند الضرورة

وفي لحظة هيجان عاطفيّ

قبلة صامتة بين كِمامتين!

.....

وحدها الأمكنة الفارغة

تفوح على غير عادتها بالطمأنينة

هي والصالات المغلقة

وقرى الريف النائية

أما الخلاء الموحش

فيبدو كقلعةٍ محميّة على رقعة شطرنج

«فالآخرون هم الجحيم»

وإن كانوا أيضا هم الحياة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيلةٌ بائسةٌ في الهواءِ الطلق

النحلةُ التي حطّت على طرفِ الكأس

بسيقانٍ هشّة

وشاربين طويلين كجناحين

كانت عذرا لائقا

كي أتذوّقَ حمرةَ شفتيكِ على الحافة!

هذا النحلُ الطيّبُ مُهدّدٌ بالانقراض

وسنبحثُ يوما عن وسيلة نقلٍ أخرى

لحمل اللقاح بين الزهور

فالريح لا تكفي كي تتزاوج الأغصانُ البعيدة

تبتسمين من كلماتي التي تبدو

كفخٍّ عاطفيٍّ بائس

وتسحبين يَديكِ إلى الخلفِ

حين أردفُ بنظراتٍ حاسرة:

تتشقّقُ شفتاي عطشا إليكِ

كلما جفّ نهرٌ حولي

أو تبخّر في قارةٍ مجاورة

وتَصطكّ عظامي من بردٍ غامضْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلما نهشُ البحرُ شاطئا

وتعرّث غابة

وانكفأ جبلٌ عظيمٌ كجثّة هامدة

كلما اندثر كائنٌ

كراوٍ أخير في سلالته

كلما حجب الهواء العادم

نجما فتيّا في السماء

وكلما ابتلع البحرُ

كيسا بلاستيكيّا

هابطا كمظلةٍ الى الأعماق

ثم تسندين ظهركِ إلى الكرسي

حين أهمسُ:

ياه... كم تجعلكِ الكوارثُ شهيّة

كزيتٍ صافٍ يسيل تحت الحجر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خيطٌ مربوطٌ بالأفق

بدا البالون الحارق

الذي تدفعه الريحُ

صوب أفقٍ مرسومٍ بالعين المجرّدة...

مثل معجزةٍ طازجة

لأولادٍ يكبرون

في مدينةٍ مخطوفةِ النوافذْ.

كانوا ينفخون الهواء الساخن

في الواقيات الذكريّة،

لتحلّق دون أثرٍ أو صدى

أمام شاشات الرادار

فوق الأسلاك الشائكة

وأبراج الحدود الرماديّة.

الأولاد يتحسّسون بأطراف أصابعهم

جهة الريح

يشدّون طرف الخيط الذي يصلهم بالأفق

ثم يعتقونه دفعةً واحدةْ:

مرّةً أخرى، لن ترتجف رغباتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الواقيات الذكريّة

كرعشةٍ مخنوقة

بل ستحلّقُ مثل طائرة صغيرة

تشتعل في الفضاء!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دَعَسات في شارعٍ ضيق

البلدُ الذي تضاءل مثل غيمة صيف

سيتناثرُ عمّا قريب

مخلّفاً بقعاً صغيرة على الخريطة!

ستعضّ أطرافه بأسنانك مليّاً

بأظافركَ النابية

وتشدّه إلى عظام القفص الصدري

علّه يتسع لرقصةٍ جماعيّةٍ

لمشوارٍ صباحيٍ بحثاً عن الأوكسجين

أو لسباقٍ رياضيٍّ مُرتَجل

علّه يكفي لدرس سَوْقٍ

لدعسة بنزين جريئة...

أو لزيارة جبليّة في ربيع قادم

البلدُ الذي سيتلاشى من تحتِ قدميك

كحفنةِ ترابٍ في الهواء

ستزرعه بأشجار زيتون جديدة

وبتلات لوز وخرّوب

لتذهب في التراب عميقا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن لن تجد اسمه في القواميس

ولا في دليل السفر

ستجده في سجلّات قديمة

صورا على الحائط

بأسماءٍ ورموزٍ لا يتداولها أحد.

.....

البلدُ الذي تحفظ صفاته

كسمات الجلالة

وتعرف حتى طُرُقَه الترابيّة

ويبدو أليفاً لكَ مثل وجه أطفالك

سيتبدّد مثل غبارٍ صامت

أو سيراوح بالأحرى مكانه

ليظهر لكَ بتضاريس جديدة

رُسِمت على شاشةٍ

في مكتبٍ بعيد!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلّة التسوّق الفارغة

لأغصانِ الميرميّةِ على المائدة

رائحةٌ باهتة...

تتفقدُ أعضاءَكَ فجأةً

كأنّ شيئا ضاع منكَ للتوا!

تأخذُ نفسا عميقا

بين عروق النعناع الطازجة

علكَ تقبض على عبقٍ نائم

فلا يدخلُ جوفكَ إلّا الهواء

وتغمسُ بالخبز زيتا صافيا

فينسابُ دون لسعته في الحلق

التي كبرتَ عليها

مع أغاني الطفولة والنشيد الوطنيّ...

لا مفرَّ مِن اعتيادِ نكهاتٍ ميتةٍ

ووجباتٍ بمذاقٍ مُحايد

لا تكاد تميّز

بين أسمائها في فمك

لكن لو استعنّا بالرياضيّات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحدها،

فإنّ مجموعا جبريّا فقط

لهذي الغصّات اليوميّة الصغيرة

يمكن أن يُودي بحياةٍ كاملة!

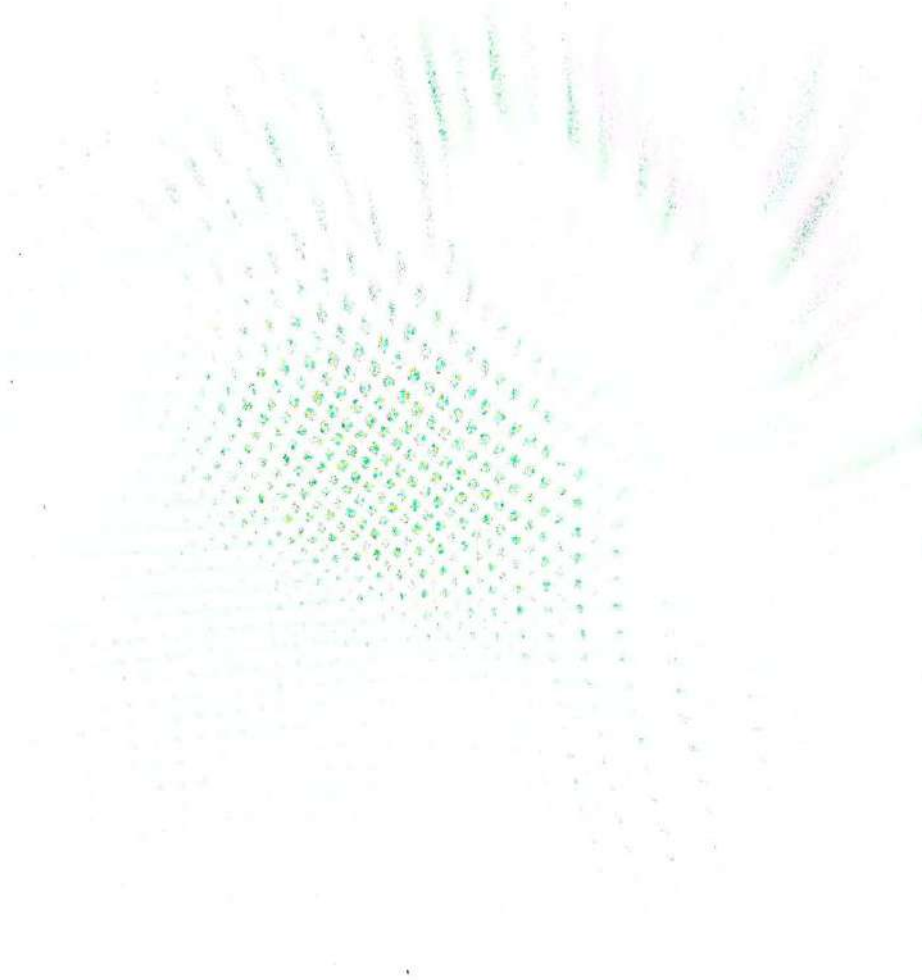

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شارع المشاة

الهائمون بهواءٍ نظيف

في شارع المُشاة،

حيث يعبر الوقتُ بطيئا،

بلا عجلات

تبدو ملامحهم هادئة

في الكاميرات المُعلّقة

خُفيةً بين الزوايا

لاصطياد المجرمين.

الباحثون عن هواء بلا شوائب

يمشون بخطى وئيدة

وأعضاء مُرتخية

أمام أشجار الميلاد الصغيرة

وحانوت الخضار القديم

والمشرّد المُتّكئ على الرصيف

فاتحاً راحة يده

ذات الخطوط السُود...

والمطعم الياباني المجاور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث يشحذ الطاهي سكّينه

خلف زجاجٍ يلمعْ!

الغارفون من هواءٍ صافٍ

يواصلون السير

حتّى يخرجوا

من فضاء الكاميرات

دون أن يقبض عليهم أحدا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صالةُ انتظار

أنْ تشعرَ امرأةٌ بطمأنينةِ قربي

يمنحني إحساساً دافئاً

ونشوةً عميقةً... تتسلّلُ إليّ بصمت

قد يحدثُ هذا

على كرسيٍّ في صالةِ استقبالٍ

حيثُ يكونُ للانتظار

معنى واضحٌ وهدفٌ مؤقت!

أو في وسيلةِ نقلٍ عام

حيث تتجاورُ المقاعدُ

لأناسٍ يلتقون دائماً بالصدفة

أو على مقعدٍ في حديقةٍ عامةْ

نتقاسمُ مشهداً واحداً

كأننا ننظرُ

من نافذتين متجاورتيْن.

.....

قد يحدثُ أن تتصرفَ

امرأةٌ بأريحيّةِ قربي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتهادى ملامُحها...

تمدّ ساقيها بكامل حريّتها

وتتلفّتُ حولها بتلقائيةٍ سافرةْ

قد تبادلني ابتسامةَ

عند النهوض

تأخذها معها في طريق ذهابها!

.....

أنْ تشعرَ امرأةٌ

بطمأنينةٍ قربي

يردمُ الهوّة التي تحفرها

الرغبةُ الجامحةُ في الصدر

أحيانا، ومن غيرِ قصدٍ

توقظُ أكثرَ شهواتي شبقاً

حدّ الانتصاب!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في مترو باريسي

يدٌ تسلّلث إلى حقيبةِ ظهر

بخفّة وبطء

مخلفةً وراءها

جيباً مفتوحا كأنّه فمٌ يصرخ!

حدثَ هذا أمام أعينٍ كثيرة

بقيتْ صامتة

تختلسُ نظراتٍ خاطفةً

متحاشيةً أيّ تقاطعٍ بينها...

أذرع مرفوعة

تقبضُ على مماسك مُعلّقة في السقف

داخل مقطورات متلاحقة

وجوهٌ على مقاعد متقابلة

في حالةِ نومٍ

يُقاس بطول المسافة!

.....

اليدُ التي تسلّلث إلى حقيبة الظهر

وانكفأث ممتلئة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تركتْ خلفها فراغا مؤلماً

سوف ينتبه إليه الرجلُ لاحقا

هناك....

في المحطّة الأخيرة

عندما يصل الجميع بسلام!

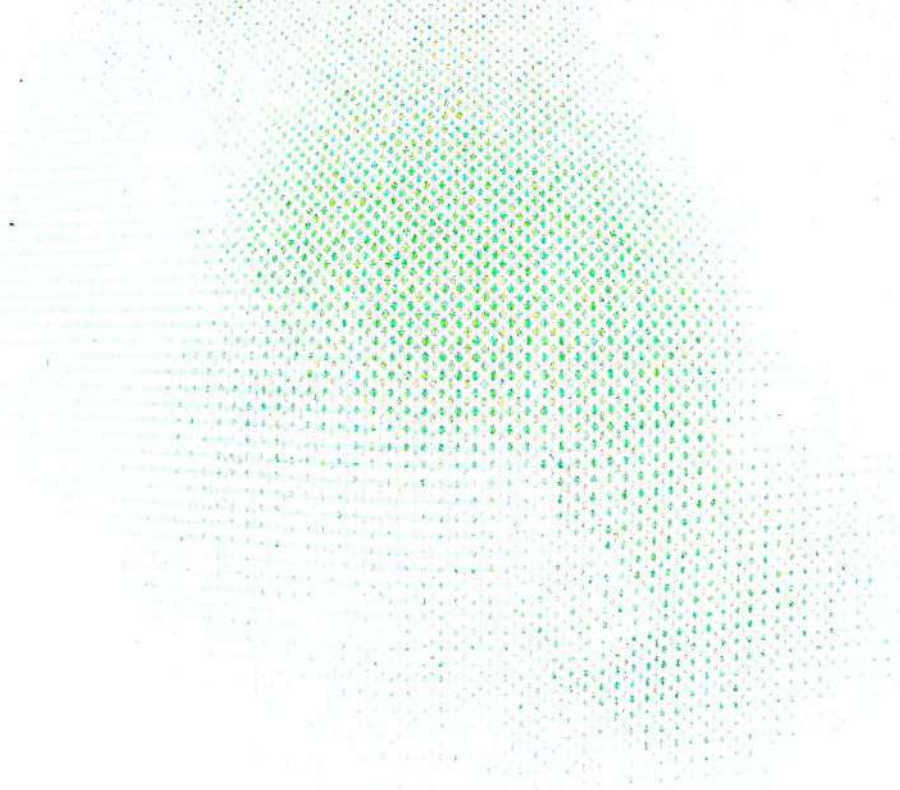

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أملاك غائبة

ارتباكُكَ الطارئ أمام وجوهٍ

تعجزُ عن تذكّرها

لن تجد له تفسيراً آخر

غير أنّ للنسيان شهيّةً شرهةً

قد لا ينتظر طويلا

لالتهام وجباته

بل يفضّلها أحيانا طازجة

تفوح برائحةِ أمسٍ قريبْ

يفترسُ الوجوه بلا ألمٍ

دون أن يخلّف دماً يدلّ على جريمة

ويبتلع أجساداً كاملة

وقفتْ أمامكَ يوما

ضحكتْ ربما أو تنهّدت

وحتماً لامستَ أطرافَها لبُرهة

ولا يتقيّأ ما في أحشائه

لا بِحكّ الجبين مليّاً

ولا بدسّ الإصبع في الحلق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن قد توقظه حادثة صغيرة

في هامش يومٍ حافلْ:

لمعانٌ في عينين تنظران إليكَ

صدى كلمةٍ تسقط عميقا

رائحةٌ قاهرةْ

أو صمتٌ في أغنية!

وهو لا ينقضّ على كلّ مشاويرك

لكنّه ينتقي ما يريد،

لتصبحَ أشياءَه إلى الأبد.

.....

ارتباكُكَ السافرُ أمام وجوهٍ

تفشلُ في التعرّف على أصحابها

لن تجد له تفسيرا آخر

غير أنّها لم تترك فيكَ لحناً

يستمرّ صداه لوقتٍ طويل...

أو أنّها رغبة دفينة في التخلّص من ماضيك

أو أنّ دماغكَ الذي يشبه حبّة جوز كبيرة

يعاني نقصا في فيتامين B12

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالتهام ما تيسّر من فاكهة البحر

واللحوم الحمراء

ستقفز الوجوه إلى ذاكرتك

كما تتقافز الضفادع في الماء الراكد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرجوحة في وسط البحر

يتأرجحون...

في مركبٍ يدلفُ ماءً

يدلقونه بالمواعين إلى البحر

سحبوا قبضةَ هواءٍ طويلة

خزّنوها في أجوافهم

ولم ينتبهوا أنّ الرّعب

يُثقل أجسادهم

أكثرَ من وجبةِ ضأنٍ دسمة

الغارقون في البحر

لم يسعفهم الجوعُ الذي خفّف من أوزانهم

الغارقون بهدوءٍ مدوٍّ إلى الأعماق

عاد حلمُهم إلى الوراء

أن يطؤوا عتبات بيوتهم

بأقدامٍ عارية... وأيدٍ مرفوعةٍ في الهواء

الصورُ والرسائلُ

التي احتفظوا بها

لتمنحهم الدفء والأمل الضروريّ للسفر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عامث على السطح

وذهبث في اتجاهاتٍ بعيدة...

القاربُ ظلّ وحده يتأرجحُ بخفّةٍ

فوق موجٍ كالرّيح

يتوالد من تلقاء نفسه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُنتهيةُ الصّلاحيّة

لا هتافات في جنازة المرأة المَغدورة

كالتي يُصغي لها الشهداء

قبل أن يخلدوا للتراب...

لا أدعية كالتي تُرافق

ميْتاً في حادثٍ عرضيّ

دموعٌ صامتةٌ فقطْ

مشفوعةٌ بالصبر والكتمان

أقدام صغيرة

تهرول لإيقاف الذاهبين إلى القبر

وإنزال الجسد عن الأكتاف العالية

التي أحكمت قبضتها على النّعش.

.....

وحدها الأفواه المشدوهة

تشمّ رائحة الجثة في بيت العزاء

وحدها تبثّ صمتا أسودَ وثقيلا ...

ونحيبا متقطّعا

يُفشي سرّ الموت الذي قفز مثل أحجيّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من راحة يد شقيقة.

.....

الأطفال الجالسون

على عتبة البيت

يكبرون على فقدان مُبهم

أصبح جزءا حميما

من طفولةٍ منتهيةِ الصّلاحية!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مهارةُ التّنفس في مكانٍ عامّ

الرجالُ الهرمون في ركنِ القاعة

بابتسامةٍ ترسمها التجاعيد

ينفخون أنفاسا متقطّعة

على كعكةِ ميلادٍ تسيل عليها الشّموع...

يدفعون هواءً ضعيفا من صدورهم

تتراقص الشعلات أمامه

وتذوي قليلا... لكنّها لا تنطفئ

لم تسعفهم

نفخاتُ عازف الساكسفون الطويلة

التي تنساب من الراديو المُعلّق

ولا بائع الكستناء الكهل

على مدخل المقهى

ينفخ بمهارةٍ لإخماد النار في يده

كلما أخرج حبّة من الموقد

ولا الشابُ المنحني على المنفضة

ينفخ هواءً أبيض ناعما

يثير الرغبة باللمس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو استعادته

قبل أن يتلاشى ببطء أمامه!

.....

الهرمون المبتهجون في ركن القاعة

يخنقون الشّعلات المُتبقّية

برؤوس أصابعهم المُبلّلة بالرّيق

ويتبادلون الهدايا كأنّها غنائمُ حربْ!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا مرمى أمامي

أركلُ العالم لا مرمى أمامي

ولا حَكَم يَضفِز

ولا جمهورَ يقفز في الهواء

أركلُ العالم

بقدمٍ اعتادتْ المشي عليه

كي يتدحرج بعيدا

وتطارده الكلاب

بأنيابٍ تلمعُ وريقٍ مسعور

أركله بنسائه اللائي أشتهي

بأساطيره القديمة

وأنبيائه المُنقَرضين

والآلهة التي صنعتها ربّات البيوت

وسجد لها الفرسان!

أركله بملوكه وعبيده

بأسفاره المقدّسة

وطوائفه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ووصاياه العابرة للأجيال

أركلُ الفيزياء التي أنجبته

أعاجيبه السبع

وبلدانه التي ترفرف على حدودها الأعلام

أركلُ حاضرَه المُستَعر

وأوقاتَه كلّها

المدبرَ منها... والقادمَ

على ساقٍ واحدة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليلة حمراء

تغمرنا شمسُ الصباح

كهديّةٍ غير متوقّعة

لا يحجبها عن شرفتنا الآن

لا برجٌ عالٍ

ولا بيتٌ مجاوِز

حتى بدت لنا من بعيد

ولأوّل مرّة

مراكب الصيادين على شاطئ البحر!

أسرابُ الحمامِ والعصافيرْ

تعودُ رويدا إلى الأفق

تحلّق باحثةً عن مواطئ قدمٍ جديدة

عن أعشاشٍ تركتها

على شرفاتٍ وأسطح

لم يعد لها وجود في المكان

روائح البيوت تفوح

من بين الحطام

ومن تحت الخرائب...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المُنقذون بالستر الواقية

يتعقبون الأنين والهمسات

التي تصعد من باطن الأرض

كمن أصاخوا قديما

لنبض الماء تحت التراب

ويتبعون سرب النمل

خيط الضوء

إلى جُحرٍ تضجّ به الحياة

... أما أنا فأعانقكِ

من مكاني قربكِ

على شرفةٍ ما زالت

رغم شقٍّ كبيرٍ وصدوعٍ تحتيّة

تحفظُ مكانا لها في الأفقِ!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مظلاتٌ طائرةٌ

يَكرهُ في الوُرودِ هشاشَتَها

بَريقَها الآني

عمرَها المعدود بالأيام

ورائحتَها التي بالكاد تعلق بالأنف،

البتلاتُ الماكرةْ

بجمالِها الغادر

وسحرِها المثير لليأس

تعكّر خلوتَه!

كان يداعبُ وجناتها الممتلئة

في المزهريّة

قرب المرآة الكبيرة

يجسّ ترابها كلّ صباح

كمن يطمئنّ على قلبٍ ينبض،

يباعد بين سيقانها

ليُمرِّرَ أصابعَه

والهواءُ الخصبْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينثرُ الماء والموسيقى

ويعرّضها لشمس آخر النهار.

لكنّه الآن يَفْرطُ أوراقها

التي هرِمتْ بسرعةٍ

لا تليقُ بكائنٍ حيّ،

يحملها براحةِ يديه إلى النافذة

كي يمتّع نفسه بمشهدٍ أخيرْ:

ينثرها في الهواء

لتهبط ببطءٍ

مثل مظلّاتٍ طائرةْ

كأنّها ما زالت عالقةً بالحياة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لُعاب

أشقاءُ سائمونْ

يخرجون من جِراحنا

تِباعاً...

يطلّون برؤوسهم

واحدا واحدا ويمضون.

صراخنا المثير للملل

فقد صداه السحريّ

شكوانا المُزمنة

يذوي بريقها

كوجهٍ يهرمُ حتى يسيل منه اللعاب.

عدوّنا الذي لم نألفه

رغم كثرة الحروب بيننا

يشقّ طريقا في الصحراء

يقايض شواطِئَه الصيفيّة

بصفحاتٍ من التاريخ

وجولة في البلدة القديمة

بممرٍ إلى بئر نفطٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونسلٍ من صواريخه الفتّاكة

بعبورٍ آمنٍ في الأجواء ...

يؤلّبُ العالم علينا

يرسمُ حدودا

ويمسحُ أخرى

يسحبُ مدنا كاملة من تحتِ الأقدام

يصبّ علينا الماء البارد

كلما فاض عن بؤسنا وميضُ أمل.

.....

أشقاءُ سائمونْ

يخرجونَ من جِراحنا

تِباعاً...

يطردون أحلامَنا من ليلهم

يعيدون أناشيدنا لنا

يتخفّفون من عبءِ الأخوّة

علّهم ينجون!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محاكمة في شارع عامّ

تُركلُ التماثيلُ في السّاحات

تُرشقُ بالدِّهان الأحمر

بالحبالِ على أعناقها الشاهقة

وتُلقى في النهر

كأحَدِ مُخلّفات المدينة

تُركلُ التماثيلُ في السّاحات

تُرشقُ بالزفتِ والطماطمْ

رغم النياشين على الأكتاف

والأوسمة اللامعة على الصدر

فلكلّ زمنٍ حاويته...

للماضي

كما للحاضر

والمستقبل

وكما يخرجُ بطلٌ من حاويةٍ

في زمنٍ ما

قد يعود إليها في زمنٍ آخر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقّاعاتُ هواءٍ

«تخرجُ الكلماتُ من فمكْ

فقّاعاتُ هواءٍ(1)»

هناك من يُطاردُها بشِباك صيد

وهناكُ من يفقؤها

بقبضاتٍ عَشوائيّة

تاركةً فراغا رَطْبا في اليدا

حتى لو مشيتَ على الرصيف

سيبقى حضورك مُزعجا،

حتى لو أخليتَ مقعدك

لقادمينَ لا تراهم

وتخليتَ عن دورِكِ في الطابور،

ولو ثبّتَّ ابتسامتكَ

بملاقط تَشدّ بها أطرافَ الوجه

وقِستَ ذبذباتِ صَوتكِ بالمسطرة

حتى لو غسلتَ اسمكَ بالماءِ والصّابون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستبقى لقدميكَ وطأةٌ ثقيلة

ولأفكارك رائحة كريهة

ولمشاعركَ أطرافٌ حادّة

هاكَ تستحيل علامةَ استفهامٍ كبيرة

تتأرجحُ في الفراغ.

.....

تَخرجُ الكلماتُ طلقاتٍ طائشةْ

أصغِ لأزيزها

ولا تخشَ شيئا أو أحدْ

فالصدفةُ إنْ حدثتْ... تختارُ ضحاياها بعنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مسائل عالقة

صدّقني يا رفيق

يا نديمَ الوهمِ

يا غريمَ الصُّدفة...

أنّ الانتماءَ إلى بلدٍ

يَحدّ من الخيالِ

ويجعلُ منّا بُلهاءْ

أنّ الانتماءَ إلى بلدٍ

حاجةُ الباحثين عن معنى

عن فكرةٍ...

يختبئون خلفها

فلحفنةِ ترابٍ

في حديقةِ بيتك

أن تسردَ سيرةَ الكوكبِ كلّه

كما لقطرةِ ماءٍ في كأسك

أن تروي

سيرةَ بحرٍ خالدا!

صدّقني يا رفيق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنّ الانتماءَ إلى بلدٍ

سببٌ وجيهٌ للسُّمنة

وخَدَرٌ دائمٌ في الأعصاب...

فلدفقةِ هواءٍ في طريقك

أن تحمل صدى انفجارٍ في السّديم القصيّ،

حدث منذ ملايين السنين،

إلى جوفكِ الفارغ!

صدّقني يا رفيقْ

يا ربيبَ التكنولوجيا

يا خطراً يوميّا على البيئة

أنّكَ تحملُ أعراضَ الأرض

حتّى حين تعطسُ

أو تَسخنُ

أو تتقيّأ...

وأنّكَ تكتنزُ بأسرارٍ

تتهرّبُ منها،

كما تتحاشى دائنيك

كلما صادفتهم في طريق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صدّقني يا رفيقْ

أنّ الانتماء إلى بلدٍ

مَرَضٌ في العاطفة

وتبذيرٌ للمشاعر

إن لم يكن نقصاً في المَناعة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خارج الموسم

المُختَدِمون...

يحلمون بعدالةٍ اجتماعيّة

دون احتكارٍ

أو اختلاسٍ

ودون تضخّم في الجيب

أو في الكرش.

لا يطالبون بحظوظٍ متساويةْ

في الحبّ

وسنين العمر

واليانصيب...

فهذا من شأن الربّ

لكن أمام المكاتب الإداريّة

على أبواب الوزارات

حيث تتكدّس الأجسادُ على النوافذ!

يحلمون بشبكةِ مواصلاتٍ عامة

بأسعارٍ واضحة

كالأسماء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأعياد الميلاد...

وأجور تليق بآلام الظهر

والأوجاع السريّة.

المحتدمون

ريحٌ أوقفها الجنودُ

بأعقابِ بنادقهم

يطلقون صرخاتٍ مُحتقنة

استقرّت كالأجنّة في الأحشاء

واكتملتْ منذ زمن بعيد.

المُحتدِمون...

مروّجو الأمنيات

يمزّقون الوجه المُعلّق

على واجهات المدينة

بشارب أسودَ عريض

لم تمسسه يدٌ يوماً

ولم تهزّ أطرافَه ريح...

يقفون وجوها سافرة

أمام خوذات بلا ملامح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يبادلونها الشتائم والورود.

.....

ستسقطُ أسماءٌ على الأرصفة

سترسو قوارب في قاع المحيطات

سيبول رجالٌ في أسرّتهم...

لكنّها شدّة الألم

وقوّة الصراخ

ما سيضيءُ أرواحنا من جديد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ساحة الباستيل صباحاً

لم تنظرْ خلفها....

رفعت أكتافها بعد عناقٍ ثقيلْ

ومشتْ بخطىً واضحة

لا تصلحُ لإعطاءِ تفسيرٍ مُحدّد

لم ترفع يدها بإشارةٍ سريعةْ

كي تمنحَ وهماً ضروريّاً

لمن سيواصل حياته في المكان

الذي ما زال يضجّ بمداعباتٍ طازجةٍ

لم ترسل قُبلةً في الهواء

بنفخةٍ من نَفَسٍ حارْ

تَعْلقُ على وجهه

دون أن تتركَ آثار حُمرةٍ على الخدّ

أو تبعث بريقاً من عينيها

ليحتفظَ به

مثل ضوءٍ يقبضُ عليه براحةِ اليد

ذهبتْ...

ولم تره بابتسامةٍ مُحطّمةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصدرٍ فارغٍ... تجوبه الريح

والأغاني التي تعصف في السّاحة

لم تلسعها الكلمة الساخنة

التي رسمتها شفتاه

كأنّها وشوشة أخيرة

لم تلمح كفّه التي تهيّأث للتلويح

ثم هَبطتْ إلى الأسفل

مُختبئةً في جيب البنطال!

ذهبتْ ...

مثل عامِل مُياومةٍ

مصحوبةً بظلّها

الذي انفصل عن جسده

دفعةً واحدة

ذهبتْ...

الذين لا يتلفّتون حولهم

ولا ينظرون خلفَهم عند الوداع

لا يعودون!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثلاثة عشر كيلو مترا

أعيشُ منذ أربعين عاما

على مسافة ثلاثة عشر كيلو مترا

من شاطئ المتوسّط

ولم أمشِ يوما على رمله الناعم

بقدميّ العاريتين،

أو ترتعش أطرافي في مائه

أو تلسعني أملاحه

وأمسح زبده الأبيض عن جسدي.

لم أجرِ سابحاً

مخطوفَ الأنفاسِ

أو تصفعني موجةٌ واحدة من أمواجه.

أنا الذي لا يذهبُ بعيدا في السباحة

أتعثّرُ بأُمنيةٍ قديمةٍ:

أنْ أشقّ البحرَ بحركاتٍ طائِشَة

لأرى شروخاً في الماء

تذوبُ سريعاً ورائي.

أنْ أغفوَ على ترابه الساخن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ظهيرة يومٍ مُشرقٍ

أو أغمض عينيّ على هديرِهِ عند الغروب.

.....

امتلأ صدري برائحةِ بحرٍ غائبْ

رائحة مالحةْ

تأتي من فوق الجدار

الذي ظلّ حاضراً في صمتِ الناس،

ويطلّ فجأةً من عيونهم

حين يتحاشَون الحديث عنه

ويرونه كلّ صباحٍ من نوافذ مطابخهم

وعبر سياج البيّارات

ومن فِناءِ المدرسة.

الجدارُ الذي لم يمنع هواء البحرِ

ولا رطوبة آبْ

ولا النوارس التائهة...

يقفُ طويلاً في الحلق

يبتلعُ النهار الضروريّ للخيال

ويقسمُ الحاضرَ إلى زَمَنيْن مُختلفيْن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعيشُ منذ أربعين عاما

على مسافة ثلاثة عشر كيلو مترا

من شاطئ المتوسّط

أنا الذي لا يعرف السباحة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دوائرُ الحُبّ العشر

"إلى جينفر"

1

هنا يدكِ تداعبُ جرحا

في بطني لم يمحُهُ الزّمن

هذا سريرٌ رَحبْ

يتّسعُ لأحلامٍ تركضُ أمامنا

مثل فراخ البطّ...

هنا إفطاري مُعدّ كما أشتهي

وشالُكِ حولي

يصدّ عنّي ريح الصباح

يا امرأتي،

ما الحبّ إن لم يكن هذا؟!

وهذا إنْ لم يكن الحبّ فهو يكفيني.

2

أنتظرُ طفلاً منكِ

هذا الصيف،

أنتظرُ طفلي منكِ...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعظم الهدايا

أن يمنحكَ أحدٌ

روحاً تخرج من أحشائه.

3

أتعرفين ما الحبّ المتبادل؟

هو ما حدثَ يوماً بيننا:

حين اشتريتِ خبزيَ المُفضّل

وعدتِ به إلى البيت...

لتجديني قد اشتريتُ خبزكِ المُفضّل

وأنتظركِ على المائدة.

4

الماضي يدور حولي كذئبٍ جائعْ

ينهشني حين أسهو

ينقضّ عليَّ وجها لوجه.

الماضي يلاحقني كبعوضةٍ

تمتصّ دمي في العتمة

وأنا من خوفي عليكِ

أدخل بمطرقةٍ طويلةْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأتعقّبه مثلما أطارد

فأرا صغيرا يتنقّل بين الغرف.

5

لم أعذ خائفاً من شيءٍ

لم أعذ حائرا

أو متشكّكا

لم أعذ قلقا

لم أعذ نادما على أخطاءٍ

صنعتْ منّي

الشخصَ الذي تَسكنينَ إليه أخيرا...

وأتصالحُ مع عتمةٍ واسعةٍ داخلي

ألملمُ ظلّي عن الحيطان

وأسبقُ صوتي إليكِ

مهرولا على ساقٍ واحدة.

6

لا مَفرّ من التّأنّي

لا بدّ من الانتظار

خطوةً بعد أخرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وساعةً بعد ساعة

لا بدّ أن يجفّ الطّين بين الشّقوق

قبل أن نضع حجرا جديدا

لا أحدَ يَحيكُ المشاعر كالزّمن

لا أحد يفرطها مثله،

لكنّه طاهٍ مثاليٌّ حين تتوافر العناصر بين يديه

فلن مضِ خلفه

البطء المُراوِغ... الذي يتمايل على الجانبين

مثل بطّة سمينة.

7

متى يصبحُ العاشقُ لصّا؟

عندما لا يَطرقُ البابَ

يسترقُ السمعَ

وإنْ حدث ذلك بالصّدفة،

يفتّشُ الحقيبة

يقلّبُ الأسماءَ على شاشة الموبايل...

وإن كان ذلك بالتّراضي.

متى يصبحُ اللصّ عاشقا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما يحاول الإقامة

في البيتِ الذي يسطو عليه!

8

علّميني كيف نعتادُ بعضنا

دون أنْ تبهتَ ملامحنا

كيف يقفزُ الشوقُ من العادة؟!

الشغفُ من المألوف

الشهوةُ من الاقتراب الدائم،

علّميني ما لا تعرفينه

وما لا يحدثُ كثيرا بين الناس.

التكرارُ الثّاني مُملٌّ

أمّا الثّالثُ

فيصبحُ قافيةً

تُعلّل الطّربْ.

9

حين تتسللينَ إلى السرير

كحلزونٍ يسحبُ أعضاءَه إلى الصَدَفة

أغلقُ النافذة الخشبيّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأرخي الخيطَ كي أسدِلَ الستائر

وأشعلُ نوّاسةً

تلك العين العطوفُ في السقف

التي تلقي طيفا أزرقَ على وجنتيكِ.

ثمّ أتسلّلُ تحت المِلاءةِ

وألتصقُ بكِ

في قلبِ العتمةِ

العتمة التي لا حدود لها...

وأطرافي تلتفّ حولكِ كالأخطبوط.

10

أعرفُ ما الألفةُ العَميقةْ:

هي حينَ تمرّين قربي في البيتِ

ذاهبةً إلى الصالةِ

أو عائدةً من غرفةِ النومْ

في حركةٍ روتينيّةٍ

مُستغرِقَةً

دون أنْ تَهمّي بكلمةٍ واحدةْ،

كأنّنا لا نعرفُ بعضَنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للشاعر

مع فارق بسيط، دار فضاءات، عمّان، 2006.

Avec une petite différence، ترجمة محمد العمراوي، صدر عام 2009 عن دار النشر الفرنسيّة «كغرو تكتس»، بمقدّمة من الشاعر الفرنسيّ الكبير برنار نويل.

عناقات متأخّرة، صدر باللغتين العربيّة والفرنسيّة، بمقدّمة من الشاعر الفرنسيّ فرنسيس كومب، «دار لارماتان»، باريس، 2016.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعمال مشتركة

إعداد أنطولوجيا عن الشعر الفلسطينيّ المُعاصر Interludes poétiques de Palestine، ترجمة محمد العمراوي، صدرت عن دار النشر الفرنسيّة «لو تم دو سيريز» و«بيت الشعر الفرنسيّ» في غرونبل، عام 2019.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنس العيلة

شاعر فلسطينيّ من مواليد قلقيليّة، يقيم في باريس. حصل عام 2012 على جائزةLes journées Brautigan في فرنسا عن مجموعته الشعريّة «مع فارق بسيط» التي صدرت بالفرنسيّة بترجمة من الشاعر المغربيّ محمد العمرواي، وقد وصلت إلى طبعتها الرابعة. يكتب مقالات في الصحف الأدبيّة وبحوثا أكاديميّة باللغتين العربيّة والفرنسيّة. عمل مع موسيقيين فلسطينيين وعرب، منهم الموسيقي محمد نجم، ولحُّنت العديد من قصائده. وعمل مديرا فنيّا لمهرجان شعريّ بالتّعاون بين المركز الثقافيّ الفلسطينيّ وبين معهد العالم العربيّ وبيت الشعر الفرنسيّ في باريس. يعمل حاليا مُحاضِرا جامعيّا، ومسؤولا عن قسم اللغات الساميّة في مكتبة جامعة باريس الثامنة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner